﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧﴾ [المؤمنون: 26 - 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

ربْطُ مجادلةِ قومِ نوحٍ وعنادِهم، بهلاك من دعا عليهم، ونجاةِ مَن آمنَ

أمّا مناسبةُ الآيةِ الأولى لِما قبلَها: فهي أنَّهُ لمّا سمعَ نوحٌ عليه السلام كلامَ قومِهِ، وعرفَ تَماديَهم على الكفرِ وإصرارَهم عليهِ قالَ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[1].

وأمّا مناسبةُ الآيةِ الثّانيةِ للأولى: فهي أنَّهُ لمّا أجابَ اللّهُ دعاءَ نوحٍ عليه السلام قالَ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ الآيةَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱنصُرۡنِي﴾: (نصر) أصلٌ يدلُّ على إتيانِ خيرٍ وإيتائِه، أمّا الإتيانُ فيقالُ: نَصَرْتُ بلدَ كذا، إذا أتيتُهُ[3]، والنَّصْرُ والنُّصْرةُ: العَوْنُ، قالَ تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ [الصف: 13][4]، ويقالُ: نَصَرَ الغَيْثُ البلدَ، أي: أعانَهُ على الخِصْبِ والنَّباتِ[5]، والانتصارُ والاستنصارُ: طلبُ النُّصْرةِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: 39]، وقالَ: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: 72]، والتَّناصرُ: التَّعاونُ، قالَ تعالى: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾ [الصافات: 25][6].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 570.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 272.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(4) الراغب، المفردات: (نصر).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نصر).
(6) الراغب، المفردات: (نصر).

2) ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ﴾: (وحى) أصلٌ يدلُّ على إلقاءِ عِلْمٍ في إخفاءٍ أو غيرِهِ إلى غيرِكَ[1]، وذلكَ يكونُ بالكلامِ على سبيلِ الرَّمْزِ والتَّعريضِ، وقد يكونُ بصوتٍ لا تركيبَ فيهِ، وقد يكونُ بإشارةٍ ببعضِ الجوارحِ، وبالكتابةِ، ويقالُ للكلمةِ الإلهيَّةِ الَّتي تُلْقَى إلى أنبيائِهِ وأوليائِهِ: وحْيٌ، وذلكَ أنواعٌ؛ إمّا برسولٍ مُشاهَدٍ تُرى ذاتُهُ ويُسمَعُ كلامُهُ، كتبليغِ جبريلَ عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ في صورةٍ مُعيَّنةٍ، وإمّا بسماعِ كلامٍ مِنْ غيرِ معايَنةٍ؛ كسماعِ موسى كلامَ اللّهِ، وإمّا بإلقاءٍ في الرّوعِ، وإمّا بإلهامٍ، نحوَ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، وإمّا بتسخيرٍ، نحوَ: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: 68]، أو بمَنامٍ[2].

3) ﴿ٱصۡنَعِ﴾: (صنع) أصلٌ واحدٌ، وهو عملُ الشَّيءِ صُنْعًا[3]، وذلكَ بجمعٍ أو تحصيلٍ في هيأةٍ جديدةٍ بتدبيرٍ واحتيالٍ أو إحكامٍ، فالمصانعُ: أحباسٌ تُتَّخذُ للماءِ[4]، والصَّنيعةُ: ما اصطنعتَهُ مِنْ خيرٍ، وفرسٌ صَنيعٌ: أُحسِنَ القيامُ عليهِ، وعُبِّرَ عنِ الأمكنةِ الشَّريفةِ بالمصانعِ، قالَ تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ [الشعراء: 129]، والصُّنْعُ: إجادةُ الفعلِ، قالَ تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: 88]، وقالَ: ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾، وكُنِيَ بالرِّشْوةِ عنِ المصانعةِ، والاصطناعُ: المبالغةُ في إصلاحِ الشَّيءِ[5]، وقولُهُ: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: 39] كنايةٌ عن تربيتِهِ إلى أنْ شبَّ وبلغَ أشُدَّهُ، وجعلَهُ بمنزلةِ الشَّيءِ المصنوعِ[6]، والتَّصنُّعُ: تكلُّفُ الصَّلاحِ وحُسْنِ السَّمْتِ وإظهارُهُ والتَّزيُّنُ بهِ، والباطنُ مدخولٌ[7].

4) ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: (عين) أصلٌ يدلُّ على عُضْوٍ بهِ يُبْصَرُ[8]، فالعينُ: الجارحةُ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ﴾ [المائدة: 45]، ويقالُ: فلانٌ بعَيْني، أي: أحفظُهُ وأُراعيهِ، كقولِكَ: هو بمَرْأًى منّي ومَسْمَعٍ، قالَ سبحانَهُ: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: 37]، أي: بحيثُ نرى ونحفظُ، ويقالُ، عُنْتُ الرَّجلَ: أصبتُ عينَهُ، وعُنْتُهُ: أصبتُهُ بعَيْني[9]، ومِنْ معاني العينِ سوى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحي).
(2) الراغب، المفردات: (وحي)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وحي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صنع).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (صنع).
(5) الراغب، المفردات: (صنع).
(6) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (صنع).
(7) الزبيدي، تاج العروس: (صنع).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).
(9) الراغب، المفردات: (عين).

الجارحةِ: عينُ الماءِ، وعينُ الميزانِ، وعينُ الذَّهبِ، وعينُ الشَّمسِ[1]، والعينُ أيضًا: المالُ العَتيدُ الحاضرُ، يقالُ: إنَّهُ لَعَيْنٌ غيرُ دَيْنٍ، أي: إنَّهُ مالٌ حاضرٌ[2]، والعين أيضا: الجاسوس.

5) ﴿وَفَارَ﴾: (فور) أصْلٌ يَدُلُّ على غَلَيانِ نحوِ الماءِ إلى أعلى بقوَّةٍ واندفاعٍ[3]، ويقالُ الفَوْرُ في النّارِ إذا هاجَتْ، وفي القِدْرِ، وفي الغَضَبِ، كقولِهِ تعالى في صفةِ جهنَّمَ: ﴿وَهِيَ تَفُورُ ۝٧﴾ [الملك: 7]، وقالَ سبحانَهُ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، ويقالُ: فعلتُ كذا مِنْ فوْري، أي: غَلَيانِ الحالِ، وقيلَ: سُكونِ الأمرِ، قالَ تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [آل عمران: 125][4]، أي: مِنْ وقتِهم وساعتِهم[5].

6) ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾: التَّنّورُ في الأصلِ الَّذي يُخْبَزُ فيهِ[6]، وقدِ اختُلِفَ في المرادِ بهِ في قولِهِ ﷺ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: 40]، فقيلَ: هو وجهُ الأرضِ، وقيلَ: إنَّهُ تنّورُ الخابزِ[7]، وهو الظّاهرُ، وصاحبُه تَنّار، وجمعُه تنانير.

7) ﴿فَٱسْلُكْ﴾: (سلك) أصلٌ يدلُّ على نُفوذِ شيءٍ في شيءٍ[8]، فالسُّلوكُ: النَّفاذُ في الطَّريقِ، يقالُ: سَلَكْتُ الطَّريقَ، وسَلَكْتُ كذا في طريقِهِ، قالَ سبحانَهُ: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ [نوح: 20]، وقالَ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢﴾ [المدثر: 42]، وقالَ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾[9].

8) ﴿زَوْجَيْنِ﴾: (زوج) أصلٌ يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ لشيءٍ[10]، فيقالُ لكلِّ واحدٍ مِنَ القرينَينِ مِنَ الذَّكرِ والأنثى في الحيواناتِ المتزاوجةِ: زوجٌ، ولكلِّ قرينَينِ فيها وفي غيرِها: زوجٌ، كالخُفِّ والنَّعْلِ، ولكلِّ ما يقترنُ بآخرَ مماثلًا لهُ أو مُضادًّا: زوجٌ، قالَ ﷻ: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: 39]، وقالَ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عين).
(2) الخليل، العين: (عين).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فور)، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (فور).
(4) الراغب، المفردات: (فور).
(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فور).
(6) الجوهري، الصحاح: (تنر).
(7) الزبيدي، تاج العروس: (تنر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلك)، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (سلك).
(9) الراغب، المفردات: (سلك).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زوج).

[البقرة: 35]، وقالَ: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: 22]، أي: أقرانَهم المقتدينَ بهِم في أفعالِهم[1].

9) ﴿وَأَهۡلَكَ﴾: (أهل) أصلانِ مُتَباعِدانِ؛ أحدُهما: الإهالةُ، وهي الأَلْيَةُ ونحوُها، والأصلُ الآخرُ: الأهلُ[2]، وأهلُ الرَّجلِ: مَنْ يجمعُهُ وإيّاهم نَسَبٌ أو دينٌ أو ما يَجْري مَجْراهما، مِنْ صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ، وعُبِّرَ بأهلِ الرَّجلِ عنِ امرأتِهِ، ويقالُ: تأهَّلَ، إذا تزوَّجَ، ومكانٌ مأهولٌ: فيهِ أهلُهُ[3].

10) ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾: (خطب) أصلان؛ أحدُهما: اختلافُ لونَينِ، ومِنْ ذلكَ: الخَطْباءُ، وهي الأتانُ الَّتي لها خطٌّ أسودُ على ظَهْرِها، والأصلُ الآخرُ: الكلامُ بينَ اثنينِ[4]، ومِنْ ذلكَ: المُخاطَبةُ والتَّخاطبُ، أي: المُراجَعةُ في الكلامِ، والخَطْبُ: الأمرُ العظيمُ الَّذي يكثرُ فيهِ التَّخاطبُ، قالَ سبحانَهُ: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾ [طه: 95][5]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: 20]، أي: ما ينفصلُ بهِ الأمرُ بينَ المتخاطبينِ في الخِصامِ ونحوِهِ؛ لأنَّ كلًّا مِنَ الخَصْمينِ يخاطبُ خَصْمَهُ بما ينفعُهُ[6].

11) ﴿مُّغۡرَقُونَ﴾: (غرق) أصلٌ يدلُّ على انتهاءٍ في شيءٍ يبلغُ أقصاهُ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: أغرقتُ في القَوْسِ: مَدَدْتُها غايةَ المَدِّ[7]، والغَرَقُ: الرُّسوبُ في الماءِ، يقالُ: غَرِقَ فلانٌ يَغْرَقُ غَرَقًا، وأغرقَهُ غيرُهُ، قالَ سبحانَهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ [يونس: 90]، وقالَ: ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [البقرة: 50][8]، ويقالُ: استغرقَ فلانٌ في كذا، كأنَّهُ أحاطَ بالمُتفكَّرِ فيهِ إحاطةَ الماءِ بالغريقِ[9].

(1) الراغب، المفردات: (زوج)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زوج).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أهل).
(3) الراغب، المفردات: (أهل)، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أهل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خطب).
(5) الراغب، المفردات: (خطب)، والزبيدي، تاج العروس: (خطب).
(6) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خطب).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غرق).
(8) الراغب، المفردات: (غرق).
(9) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غرق).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الحُكمُ بنجاةِ المؤمنينَ وهلاكِ الظّالمينَ، باستجابةِ دعاءِ نوحٍ عليه السلام

قالَ نوحٌ عليه السلام داعيًا ربَّهُ، ومُستنصِرًا بهِ على قومِهِ لمّا طالَ أمرُهُ وأمرُهم، وتمادَوْا في غَيِّهم: (ربِّ انصُرْني على قومي بسببِ تكذيبِهم إيّايَ فيما بلَّغتُهم مِنْ رسالتِكَ، ودعوتُهم إليهِ مِنْ توحيدِكَ).

(فقُلْنا لهُ حينَ استنصرَنا على كفرةِ قومِهِ: اصنَعِ السَّفينةَ بحفظِنا وكَلاءتِنا، وبتعليمِنا إيّاكَ كيفيَّةَ صُنْعِها، فإذا جاءَ قضاؤُنا في قومِكَ بعذابِهم وهلاكِهم، وفارَ تنّورُ الخُبْزِ بالماءِ - فأدخِلْ في السَّفينةِ واحملْ ذكرًا وأنثى مِنْ كلِّ نوعٍ مِنَ الأنواعِ، ولا تُخاطِبْني في شأنِ الَّذينَ كفروا، ولا تطلُبْ منّي أنْ أُنجيَهم؛ فإنّي قد حكمتُ عليهِم أنْ أُغرِقَهم جميعًا)[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

الآيةُ استئنافٌ بيانيٌّ، مبينٌ عن دعاءِ نوحٍ، المستنصرِ بجنابِ اللهِ الواقي

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ عمّا قبلَهُ، ولم يُعْطَفْ عليهِ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ مِنْ حكايةِ كلامِ الكفرةِ، كأنَّهُ قيلَ: فماذا قالَ نوحٌ عليه السلام بعدَما سَمِعَ منهُم هذهِ الأباطيلَ؟ فقيلَ: قالَ لمّا رآهُم قد أصرّوا على الكفرِ والتَّكذيبِ، وتمادَوْا في الغَوايةِ والضَّلالِ، حتَّى يَئِسَ مِنْ إيمانِهم، وقد أوحى اللهُ إليهِ أنَّهُ لنْ يُؤمِنَ مِنْ قومِهِ إلا مَنْ قد آمنَ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾[2].

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ الرُّبوبيَّةِ:

مناسبةُ لفظِ الرُّبوبيَّةِ لسياقِ طلبِ النَّصْرِ

عُبِّرَ في قولِهِ ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ بلفظِ الرُّبوبيَّةِ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى؛ لأنَّ المقامَ مقامُ طلبِ نوحٍ عليه السلام النَّصْرَ مِنَ اللهِ ﷻ، وذكرُ وصفِ الرَّبِّ المُنبِئِ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 25 - 26.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 45.

عنِ الإحسانِ والرِّعايةِ والعِنايةِ يُناسبُ ذلكَ المقامَ، فيكونُ ذكرُ هذا اللَّفظِ الجليلِ بمنزلةِ تقديمِ الوسيلةِ بينَ يدَيْ طلبِ الحاجةِ.

بلاغةُ الدُّعاءِ في قولِهِ: ﴿ٱنصُرۡنِي﴾:

قيلَ: قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ مجازٌ عن إهلاكِهم؛ لأنَّ في نُصْرتِهِ إهلاكَهم، إطلاقًا لاسمِ السَّببِ على المُسبَّبِ[1]، وهذا حكايةٌ إجماليَّةٌ لقولِهِ ﷺ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: 26] إلى آخرِه[2].

النَّصْرُ هنا مجازٌ عنِ الإهلاكِ

وفي هذا الطَّريقِ مِنَ الدُّعاءِ ما لا يخفَى مِنَ البراعةِ والبلاغةِ؛ حيثُ لم يُصرِّحْ بإهلاكِهم، بل سألَهُ بطريقٍ يستلزمُ سؤالَ إهلاكِهم، وهذا في غايةٍ مِنْ حُسْنِ الأدبِ[3].

معنى الباءِ في قولِهِ: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾:

الباءُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ للسَّببيَّةِ، أي: أهلِكْهم بسببِ تكذيبِهم إيّايَ[4]، فجعلَ ﷺ حظَّ نفسِهِ فيما اعتدَوْا عليهِ مُلْغىً، واهتمَّ بحظِّ الرِّسالةِ عنِ اللهِ؛ لأنَّ الاعتداءَ على الرَّسولِ استخفافٌ بمَنْ أرسلَهُ[5].

الباءُ للسَّببيَّةِ أوِ البدلِ، وكلاهما مفصحٌ عن المرادِ في السّياقِ

ويحتملُ أنْ تكونَ الباءُ للبَدَلِ، أي: انصُرْني بدلَ ما كذَّبوني، كما تقولُ: هذا بذاكَ، أي: بدلُ ذاكَ، والمعنَى: أبدِلْني مِنْ غَمِّ تكذيبِهم سُلْوةَ النُّصْرةِ عليهم[6].

معنى (ما) في قولِهِ: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾:

(ما) في قولِهِ ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ مصدريَّةٌ، والمعنَى: (انصُرْني بسببِ تكذيبِهم إيّايَ، أوِ انصُرْني بدلَ تكذيبِهم إيّايَ)[7].

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 10/ 572.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 161.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 183، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 45.
(6) الزمخشري، الكشاف: 3/ 183، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86.
(7) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 228.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضعَّفِ:

الـدَّلالـةُ على مبالغتِهم في التَّكذيبِ واضحةٌ في السّياق

يدلُّ التَّعبيرُ بصيغةِ الفعلِ المُضعَّفِ في قولِهِ ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ على أنَّ قومَ نوحٍ ﷺ قد بالَغوا في تكذيبِهِ وإنكارِ نُبوَّتِهِ، ولا غَرْوَ في ذلكَ؛ فقد لَبِثَ فيهِم يَدعوهم إلى اللهِ ﷻ ألفَ سنةٍ إلّا خمسينَ عامًا، ولم يَرْتَدِعوا عن كفرِهم وضلالِهم، بل كانَ شأنُهم كما أخبرَ عنهُم قولُهُ ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩﴾ [نوح: 5 - 9] إلى آخرِ الآياتِ، ولذلكَ استحقّوا الدُّعاءَ عليهِم بالهلاكِ، فأخذَهم الطّوفانُ وهم ظالمونَ.

معنى الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ﴾:

الآيـةُ شـروعٌ في ملامحِ النُّصرةِ، وبوادرِ الإهلاكِ

الفاءُ في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ للسَّببيَّةِ، أي: أجَبْنا دعاءَهُ فأوحَيْنا إليهِ[1]، فالآيةُ شُروعٌ في مَبادي النُّصرةِ والإهلاكِ[2].

وقيلَ: سألَ نوحٌ ﷺ نَصْرًا مُجمَلًا كما حُكيَ هنا، وأعلمَهُ اللهُ تعالى أنَّهُ لا رجاءَ في إيمانِ قومِهِ إلّا مَنْ آمنَ منهُم، كما جاءَ في سورةِ هودٍ، فلا رجاءَ في أنْ يكونَ نَصْرُهُ برجوعِهم إلى طاعتِهِ وتصديقِهِ واتِّباعِ مِلَّتِهِ، فسألَ نوحٌ ﷺ عندَ ذلكَ نَصْرًا خاصًّا، وهو استئصالُ الَّذينَ لم يُؤمِنوا، كما جاءَ في سورةِ نوحٍ: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ [نوح: 26]، فالتَّعقيبُ الَّذي في قولِهِ تعالى هنا: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ تعقيبٌ بتقديرِ جُمَلٍ محذوفةٍ، وهو إيجازٌ في حكايةِ القصَّةِ[3].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 133.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 162.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 45.

نُكتةُ التَّعبيرِ بنونِ العظَمةِ في الآيةِ:

عُبِّرَ بضميرِ العظَمةِ في قولِ اللهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾؛ لتعظيمِ شأنِ الوَحْيِ بكونِهِ صادرًا عن ذي العظَمةِ والجلالِ ﷻ، وتعظيمِ شأنِ الأعيُنِ المُعبَّرِ بها عنِ الحفظِ والكَلاءةِ، وتعظيمِ شأنِ الموحَى بهِ، وهو كيفيَّةُ صُنْعِ السَّفينةِ الَّتي كانَتْ فيها نَجاةُ نوحٍ ومَنْ معَهُ، وتعظيمِ أمرِ اللهِ الَّذي ترتَّبَ عليهِ نَجاةُ المُؤمنينَ وهلاكُ الظّالمينَ[1].

تعظيمُ شأنِ ما دخلَتْ عليهِ نونُ العظَمةِ معبِّرٌ عن المعنى

وفي الكلامِ أيضًا تعظيمُ الموحَى إليهِ أيضًا، وهو نبيُّ اللهِ نوحٌ عليه السلام.

معنى ﴿أَنِ﴾ في قولِهِ: ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾:

الظّاهرُ أنَّ ﴿أَنِ﴾ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ تفسيريَّةٌ، وجملةُ ﴿أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾ مُفسِّرةٌ لجملةِ ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ﴾؛ لأنَّ فعلَ الوَحْيِ فيهِ معنى القولِ دونَ حُروفِهِ[2]، وقيلَ: يجوزُ أنْ تكونَ (أنْ) مصدريَّةً، أو مُخفَّفةً مِنَ الثَّقيلةِ[3].

فعلُ الوحيِ (أوْحَيْنا) فيه معنى القولِ دونَ حروفِهِ

دلالةُ الأمرِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱصۡنَعِ﴾:

الأمرُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ للوجوبِ، لأنَّهُ هو الأصلُ في صيغةِ الأمرِ، ولا صارفَ عنهُ، فيفيدُ الكلامُ وجوبَ صُنْعِ السَّفينةِ وما عُطِفَ عليهِ على نوحٍ عليه السلام.

الأمرُ للوجوبِ، والغرضُ اتِّخاذُ الأسبابِ للنَّجاةِ من الهلاكِ

نُكتةُ التَّعبيرِ بفعلِ الصُّنْعِ دونَ غيرِهِ:

لمّا كانَ المقامُ لأمرِ نوحٍ عليه السلام بتجهيزِ سفينةِ النَّجاةِ لهُ ولمَنْ معَهُ أوثرَ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ فعلُ الصُّنْعِ على غيرِهِ مِنَ الأفعالِ؛ لأنَّ الصُّنْعَ يُشيرُ إلى إحكامِ العملِ؛ لأنَّهُ في الأصلِ: إجادةُ الفعلِ[4]، فكانَ أنسبَ بالمقامِ؛

الإشارةُ إلى إحكامِ العملِ، وبلوغِ أعلى مستوياتِ الجودةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 283.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 570.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 162.
(4) الراغب، المفردات: (صنع).

لأنَّ ما يُصنَعُ بأعيُنِ اللهِ ووَحْيِهِ جديرٌ بأنْ يكونَ على أكملِ ما تكونُ عليهِ المصنوعاتُ.

دلالةُ (أل) في لفظِ ﴿ٱلْفُلْكَ﴾:

اللّامُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ للعهدِ الذِّهنيِّ؛ إذ ليسَ القصدُ إلى حقيقةِ الفُلْكِ؛ إذ لا يتعلَّقُ بها الصُّنْعُ، ولا إلى الاستغراقِ؛ إذ ليسَ القصدُ إلى صُنْعِ كلِّ سفينةٍ، ولا إلى بعضٍ مُعيَّنٍ مذكورٍ في الكلامِ.

الغايةُ صنعُ السَّفينةِ المعيَّنةِ الَّتي صُنِعتْ بأمرِ الله تعالى

دلالةُ الباءِ في قولِهِ: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾:

باءُ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ للمُلابَسةِ، وهي في موضعِ الحالِ مِنْ ضميرِ ﴿ٱصْنَعِ﴾[1]، والتَّقديرُ: (فأوحَيْنا إليهِ أنِ اصنَعِ الفُلْكَ مُلتبِسًا بأعيُنِنا ووَحْينا)[2].

الباءُ للمُلابَسةِ، والأمرُ واقعٌ تحت عينِ الله ورعايته

نُكتةُ جمعِ الأعيُنِ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾:

على مذهبِ من رأى أنّ لفظ (الأعين) في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ بمعنى الحفظ والرِّعاية – على سبيلِ الاستعارةِ أوِ الكنايةِ أوِ المجازِ المُرسَلِ – جيءَ بلفظِ الأعيُنِ جمعًا؛ للمبالغةِ في الحفظِ والرِّعايةِ، والدَّلالةِ على كمالِهما[3]، وقيلَ: صيغةُ الجمعِ في ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمعنى المُثَّنى، والمرادُ: بعَيْنَيْنا[4].

المبالغةُ في الحفظِ والرِّعايةِ، مِن لطفِ الله بمن أرسلَهُ وحماه

دلالةُ المرادِ بالوَحْيِ في قولِهِ: ﴿وَوَحْيِنَا﴾:

المرادُ بالوَحْيِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾: الوَحْيُ الَّذي بهِ وصفُ كيفيَّةِ صُنْعِ الفُلْكِ[5]، ويدلُّ على ذلكَ عطفُهُ على ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ المجرورِ بباءِ المُلابَسةِ المُتعلِّقةِ بالأمرِ بالصُّنْعِ[6].

المرادُ بالوَحْيِ كيفيَّةُ صُنْعِ السَّفينةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 66.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 283، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 3708.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 66.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 141، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 272.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 67.

معنى الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾:

أثرُ الفاءِ في ترتيبِ ما بعدَها على ما قبلَها

الفاءُ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ لترتيبِ مضمونِ ما بعدَها على ما قبلَها[1]، وقد فُرِّعَ على الأمرِ بصُنْعِ الفُلْكِ تفصيلُ ما يفعلُهُ نوحٌ عليه السلام عندَ الحاجةِ إلى استعمالِ الفُلْكِ[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ (إذا) دونَ (إنْ):

الدَّلالةُ على تحقُّقِ مجيءِ الأمرِ؛ لأنَّه أمرُ مَن بيدِهِ الأمرُ

عُبِّرَ بـ (إذا) الشَّرطيَّةِ في قولِ الحقِّ عزَّ وتباركَ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ مجيءِ الأمرِ، أي: فإذا جاءَ أمرُنا بالهلاكِ[3]، وذلكَ لأنَّ (إذا) للشَّرطِ في الاستقبالِ، وهي تُستعمَلُ في الأمرِ المقطوعِ بهِ، وذلكَ أنسبُ بمقامِ تحقُّقِ الوعدِ بنُصْرةِ نوحٍ عليه السلام وإهلاكِ أعدائِهِ، ولم يُعبَّرْ بـ (إنْ)؛ لأنَّها وإنْ كانَتْ للشَّرطِ في الاستقبالِ أيضًا لكنَّها تُستعمَلُ في الأمرِ النّادرِ المشكوكِ في وقوعِهِ، فلا تناسبُ هذا المقامَ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿جَآءَ﴾:

مناسبةُ لفظِ الماضي لمقامِ تحقُّقِ مجيءِ الأمرِ

لمّا كانَتْ (إذا) للشَّرطِ في الاستقبالِ، وتُستعمَلُ في الأمرِ المقطوعِ بحصولِهِ - غُلِّبَ لفظُ الماضي معَها؛ لأنَّهُ أقربُ للوقوعِ باعتبارِ اللَّفظِ، وإنْ كانَ المعنَى على الاستقبالِ؛ لأنَّ (إذا) تقلبُ الماضيَ إلى المستقبلِ، وقد عُبِّرَ بها في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾؛ دلالةً على تحقُّقِ مجيءِ أمرِ اللهِ تباركَ شأنُهُ بإهلاكِ قومِ نوحٍ عليه السلام، وكأنَّ الأمرَ قد جاءَ، واللهُ سبحانَهُ يُخبرُ عن مجيئِهِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ الأمرِ:

تعظيمُ شأنِ الإهلاكِ الَّذي لا نجاةَ منهُ

المرادُ بالأمرِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: العذابُ والإهلاكُ[4]، وقد عُبِّرَ عنهُ بلفظِ الأمرِ؛ تعظيمًا لهُ وتفخيمًا؛ لأنَّ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 46.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 133.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 465.

الأمرَ يأتي بمعنى الشَّأنِ العظيم[1]، ويُقوّي التَّفخيمَ فيه إضافتُهُ إلى نونِ العظَمةِ كما تقدَّمَ، وفي إسنادِ المَجيءِ إلى الأمرِ مجازٌ حُكميٌّ علاقتُه السّببيّةُ والمسبّبيّةُ؛ لأنّ الأمرَ هو سببٌ لوقوعِ العذابِ.

إعرابُ جملةِ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾:

الجملةُ معطوفةٌ على ما قبلَها، مفيدةٌ بدلالتها

جملةُ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معطوفةٌ على جملةِ ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ عطفَ النَّسقِ[2]، فتكونُ داخلةً معَها في حيِّزِ الشَّرْطِ، وقيلَ: الجملةُ معطوفةٌ على ما قبلَها عطفَ البيانِ، عندَ من يرى وقوعَ عطْفِ البيانِ بين الجُمل، أي: إنَّ مجيءَ الأمرِ هو فَوَرانُ التَّنّورِ[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في قولِهِ: ﴿وَفَارَ﴾:

مناسبةُ الماضي لمقامِ القطعِ بحصولِ الفَوَرانِ

حصولُ فَوَرانِ التَّنّورِ أمرٌ مقطوعٌ بهِ؛ لأنَّ مجيءَ أمرِ اللّهِ سبحانَهُ بإهلاكِ قومِ نوحٍ مقطوعٌ بحصولِهِ، بدليلِ (إذا) وصيغةِ الماضي في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، وفَوَرانُ التَّنّورِ المذكورُ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معطوفٌ عليهِ وداخلٌ معَهُ في حيِّزِ الشَّرطِ، فيكونُ مِثْلَهُ في القطعِ، ولذلكَ وافقَهُ في كونِهِ بصيغةِ الماضي الدّالَّةِ بحسَبِ ظاهرِ اللَّفظِ على أنَّ الفَوَرانَ قد تحقَّقَ، وأنَّ اللّهَ تعالى يُخبرُ عنهُ.

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾:

التَّنّور علامةٌ لبدءِ تنفيذِ الغرقِ المُهلكِ، ونجاةِ القلَّةِ المؤمنةِ

الرّاجحُ أنَّ المرادَ بالتَّنّورِ، في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: تنّورُ الخُبْزِ، وأنَّهُ كانَ أمارةً بينَ اللّهِ تعالى وبينَ نوحٍ عليه السلام[4]، وعليهِ تكونُ لامُ ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ للعهدِ، والمرادُ بهِ تنّورٌ مُعيَّنٌ، وقد رويَ: أنَّهُ قيلَ لنوحٍ عليه السلام: إذا فارَ الماءُ مِنَ التَّنّورِ اركبْ أنتَ ومَنْ معكَ، فلمّا نبعَ الماءُ منهُ أخبرَتْهُ امرأتُهُ، فركبَ، ومَحَلُّ التَّنّورِ في الكوفةِ[5].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 272.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 570.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 141، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 133.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86.

علَّةُ جعلِ فوَرانِ التَّنّورِ أمارةً بدايةِ الطّوفانِ:

قولُهُ ﷻ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ معناهُ: فارَ الماءُ مِنْ تنّورِ الخُبْزِ، وفي ذلكَ آيةٌ عجيبةٌ، حيثُ أُخرِجَ سببُ الغَرَقِ - وهو الماءُ - مِنْ موضعِ الحَرْقِ، وهو التَّنّورُ؛ ليكونَ ذلكَ أبلغَ في الإنذارِ والاعتبارِ[1]؛ إذ جعلَ اللّهُ جلَّتْ قُدرتُهُ الضِّدَّ مَنْبَعًا للضِّدِّ.

المبالغةُ في الإنذارِ والاعتبارِ بفورانِ التَّنّورِ؛ لإغراقِ كلِّ كفورٍ

وقيلَ: الكلامُ ليسَ على حقيقتِهِ، بل قولُهُ تعالى: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ كنايةٌ عنِ الشِّدَّةِ، كقولِهم: حَميَ الوَطيسُ.

وقيلَ: قولُهُ سبحانَهُ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ مَثَلٌ لبُلوغِ الشَّيءِ إلى أقصى ما يُتحمَّلُ مِثْلُهُ، كما يقالُ: بلغَ السَّيْلُ الزُّبَى، وامتلأ الصّاعُ، وفاضَتِ الكأسُ[2].

دلالةُ الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَٱسْلُكْ﴾:

الفاءُ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ واقعةٌ في جوابِ الشَّرطِ المذكورِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، وهي تُفيدُ رَبْطَ الجوابِ بالشَّرطِ.

معنى حرفِ الجرِّ في قولِهِ: ﴿فِيهَا﴾:

الدَّلالةُ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ مبيّنةٌ عن المرادِ في السّياقِ

يدلُّ التَّعبيرُ بحرفِ الجرِّ (في) الدّالِّ على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ على أنَّ السَّفينةَ كانَتْ ظرفًا ومكانًا للَّذينَ أُمِرَ نوحٌ ﷺ أنْ يُدخِلَهم فيها، وهي تشتملُ عليهم اشتمالَ الظَّرفِ على المظروفِ، وفي ذلكَ مزيدُ حفظٍ وصيانةٍ لهُم في هذا الحدثِ الهائلِ العظيمِ، حيثُ الأمواجُ تتلاطمُ، والمياهُ تَغْمُرُ كلَّ مكانٍ تسيرُ فيهِ السَّفينةُ.

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 465، والبقاعيّ، نظم الدرر: 13/ 133.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 70.

نُكتةُ تقديمِ شبهِ الجملة ﴿فِيهَا﴾:

أفاد تقديمُ شبْهِ الجملة على المفعول، العنايةَ بهذه السّفينة وبمن يكون على متنها منَ الأزواج الّذين ذكرتهمُ الآيةُ، والعنايةُ بالسَّفينة وأهلها، لطفٌ بمن التجأ إلى ملاذِ اللّه الآمن.

توجيهُ القراءاتِ في قولِهِ: ﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ وبلاغتها:

اخـتـلافُ وجـوهِ الإعرابِ باختلافِ الـقـراءاتِ مفيدٌ في بابه

قرأ حفصٌ: ﴿كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ بالتّنوين، وقرأ الباقونَ: ﴿كُلَّ زَوْجَيْنِ﴾ بغيرِ تنوينٍ على الإضافةِ[1].

أمّا مَنْ قرأ بالتّنوينِ فالتّنوينُ عِوَضٌ عن مضافٍ إليهِ محذوفٍ، والمعنَى: مِنْ كلِّ نوعٍ زوجين، و﴿زَوْجَيْنِ﴾ مفعولُ ﴿فَٱسْلُكْ﴾، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ تأكيدٌ[2]، أي: صفةٌ مُؤكِّدةٌ، أي: لا تَزِدْ على اثنينِ[3].

وأمّا مَنْ قرأ بالإضافةِ فالإضافةُ بيانيَّةٌ[4]، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾ مفعولُ ﴿فَٱسْلُكْ﴾، وهو بيانٌ لئلّا يُتوهَّمَ أنْ يحملَ مِنْ كلِّ زوجينِ واحدًا منهما؛ لأنَّ الزَّوجَ هو واحدٌ مِن اثنينِ مُتَّصلين، ولئلّا يَحملَ أكثرَ مِن اثنينِ مِنْ نوعٍ، فتَضيقَ السَّفينةُ وتَثْقُلَ[5]، فقراءة الإضافة أزالت الإبهام الذي في قراءة التنوين؛ أيْ: ذكر وأنثى من كلّ صنف، سواء أكان إنسان أم حيوان أم نبات.

نُكتةُ تنكيرِ لفظ ﴿زَوْجَيْنِ﴾:

التَّنكيرُ للإفرادِ؛ ليسلك فيها كـلُّ زوجـين من الأنواع

تنكيرُ ﴿زَوْجَيْنِ﴾ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ للإفرادِ، فالزَّوجُ في الأصلِ: شيءٌ يكونُ ثانيًا لآخرَ في حالةٍ، وأصلُهُ: اسمٌ لِما ينضمُّ إلى فردٍ فيصيرُ زوجًا لهُ، وكلٌّ

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 288.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 163.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 72.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 72.

منهما زوجٌ للآخرِ، والمرادُ بـ ﴿زَوْجَيْنِ﴾ هنا الذَّكرُ والأنثى مِنَ النَّوعِ، والمعنَى: فاسلُكْ فيها مِنْ أزواجِ جميعِ الأنواعِ[1].

المرادُ بالأهلِ في قولِهِ: ﴿وَأَهْلَكَ﴾:

المرادُ أُمَّةُ الإجابةِ أوِ امرأتُهُ وبَنوهُ، وكلاهما وجيهٌ

اختُلِفَ في المرادِ بالأهلِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾:

فقيلَ: المرادُ بهم أُمَّةُ الإجابةِ الَّذينَ آمَنوا بهِ ﷺ، سواءٌ كانوا مِنْ ذوي قرابتِهِ أم لا، وإنَّما حُمِلَ عليهِ هنا دونَ المعنَى المشهورِ، وهو امرأتُهُ وبَنوهُ؛ ليشملَ مَنْ آمنَ ممَّنْ ليسَ ذا قرابةٍ؛ فإنَّهم قد ذُكِروا في سورةِ هودٍ في قولِهِ تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود: 40]، والقرآنُ يُفسِّرُ بعضُهُ بعضًا، وعلى هذا يكونُ قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ استثناءً منقطعًا[2].

وقيلَ: المرادُ بالأهلِ المعنَى المشهورُ، وهو امرأتُهُ وبَنوهُ منهُ كما في سورةِ هودٍ[3]، وحينئذٍ يكونُ الاستثناءُ متَّصلًا كما كانَ هناكَ[4].

بلاغةُ تأخيرِ سَلْكِ الأهلِ في السَّفينةِ:

احتياجُ سَلْكِ الأزواجِ إلى معاونةِ غيرِهِ لهُ ﷺ

تأخيرُ الأمرِ بسَلْكِ الأهلِ في السَّفينةِ عمَّا ذُكِرَ مِنْ سَلْكِ الأزواجِ فيها في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ لكونِهِ عريقًا فيما أُمِرَ بهِ مِنَ السَّلْكِ؛ فإنَّهُ يحتاجُ إلى مُزاوَلةِ الأعمالِ مِنْ نوحٍ ﷺ، بل يحتاجُ إلى مُعاوَنةٍ مِنْ أهلِهِ وأتباعِهِ، وأمَّا هم فإنَّما يدخلونَها باختيارِهم بعدَ ذلكَ، ولأنَّ في المُؤخَّرِ نوعَ تفصيلٍ بذكرِ الاستثناءِ وغيرِهِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 72.

(2) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 142، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 133، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 132.

(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 164، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 229.

فتقديمُهُ يُؤدّي إلى الإخلالِ بحُسْنِ انتظامِ الكلامِ، وتجاوبِ أطرافِ النَّظمِ الكريمِ[1].

معنى الموصولِ في قولِهِ: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ﴾:

مَـنْ سبق عليه الـقـولُ مُـنِـعَ مـن الـسَّـلـك في السَّفينة

﴿مَن﴾ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ موصولةٌ، صِلَتُها جملةُ ﴿سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، وفي التَّعبيرِ بالموصولِ وصِلَتِهِ إشارةٌ إلى أنَّ علَّةَ استثناءِ مَنِ استُثْنِيَ من السَّلْكِ، هي سَبْقُ القولُ عليهِ مِنَ اللهِ جلَّ ذكرُهُ، كأنَّهُ قيلَ: لا تَسْلُكْ هؤلاءِ في السَّفينةِ؛ لأنَّهم سبقَ عليهم القولُ.

نُكتةُ تعديةِ ﴿سَبَقَ﴾ بـ(على):

استعمالُ (على) في المَضارِّ، من البيان المفصح

عُدِّيَ الفعلُ ﴿سَبَقَ﴾ بـ (على) في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ لأنَّ العادةَ قد جرَتْ باستعمالِ (على) عندَ سَبْقِ الضّارِّ، وسَبْقُ القولِ هنا ضارٌّ؛ لأنَّهُ عليهِ لا لهُ، كما يُجاءُ باللّامِ عندَ سَبْقِ النّافعِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: 101]، وقالَ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: 171]، ونحوُهُ قولُهُ تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286][2]، وكما يقالُ: دَعا عليهِ، وشَهِدَ عليهِ، وادَّعى عليهِ، ويقالُ: دَعا لهُ، وشَهِدَ لهُ[3]، وقيلَ: عُدِّيَ الفعلُ ﴿سَبَقَ﴾ بـ (على)؛ لتضمينِهِ معنَى: حَكَمَ، والمرادُ الحُكْمُ عليهم بالهلاكِ[4].

دلالةُ تقديمِ قولِهِ: ﴿عَلَيْهِ﴾:

العِنايةُ بالمُقدَّمِ والتَّشويقُ إلى المُؤخَّرِ من بلاغةِ السِّياق

قُدِّمَ ﴿عَلَيْهِ﴾ على ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ في قولِهِ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 132، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 229.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 184، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 273.
(3) ابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 13/ 164.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5066، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 72.

لبيانِ الاعتناءِ بوقوعِ سَبْقِ شيْءٍ على المُعبَّرَ عنهُ بـ ﴿مَن﴾ الموصولةِ، وللتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ السّابقِ، وهو ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ المرادُ بهِ الوعيدُ بالهلاكِ، وفي التَّشويقِ تهيئةٌ للنَّفْسِ لتلقّي المُؤخَّرِ، فيتمكَّنُ عندَ الوُرودِ عليها فضْلَ تمكُّنٍ.

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلْقَوْلُ﴾:

المرادُ بالقولِ في قولِهِ جلَّتْ أسماؤُهُ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾: ما مضى مِنْ قولِ اللّهِ عليهِ، أي: وعيدِهِ، فالتَّعريفُ في ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ للعهدِ[1].

مرجعُ الضَّميرِ في قولِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾:

ضميرُ الهاءِ في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجعٌ إلى الأهلِ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾، سواءٌ كانَ لفظُ الأهلِ بمعنَى أُمَّةِ الإجابةِ أو بمعناهُ المشهورِ، وهو زوجةُ نوحٍ عليه السلام وبَنوهُ[2].

الضَّميرُ راجعٌ للأهلِ، ومعبِّرٌ عن ألطافِ الله بنجاتهم

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ بينَ آيتَي (المؤمنون وهود):

تشابهَ قولُهُ تعالى في هذهِ السّورةِ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾، معَ قولِهِ في سورةِ هودٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود: 40].

اختلافُ اللَّفظِ مرتبطٌ بملمح التَّوصيفِ، وأوان الخطاب الإلهيِّ المنيفِ

ومِنْ وجوهِ الاختلافِ بينَ الآيتينِ:

أوَّلًا: هذهِ الآيةُ صريحةٌ في أنَّ الأمرَ بالسَّلْكِ كانَ قبلَ صُنْعِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 72.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327.

الفُلْكَ، وهو بخلافِ ما في سورةِ هودٍ، فالوجهُ أنْ يُحمَلَ ما في سورةِ هودٍ إمّا على أنَّهُ حكايةٌ لأمرٍ آخرَ تنجيزيٍّ وردَ عندَ فوَرانِ التَّنّورِ الَّذي نيطَ بهِ الأمرُ التَّعليقيُّ؛ اعتناءً بشأنِ المأمورِ بهِ، أو على أنَّ ذلكَ هو الأمرُ السّابقُ بعينِهِ، لكنْ لمّا كانَ الأمرُ التَّعليقيُّ قبلَ تحقُّقِ المُعلَّقِ بهِ في حقِّ إيجابِ المأمورِ بهِ بمنزلةِ العَدَمِ - جُعِلَ كأنَّهُ إنَّما حدثَ عندَ تحقُّقِهِ، فحُكيَ على صورةِ التَّنجيزِ[1].

ثانيًا: عُبِّرَ بالحَمْلِ في سورةِ هودٍ، فقيلَ: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: 40]، وعُبِّرَ بالسَّلْكِ هنا، فقيلَ: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾، ووجهُ ذلكَ: أنَّ أحدَهما نقلٌ بالمعنى؛ لأنَّ القصَّةَ واحدةٌ، وفيها تغايرٌ في اللَّفظِ، لكنَّهُ تطابقٌ معنىً، وفيها اختصارٌ أيضًا[2].

وقيلَ: إنَّما عُبِّرَ بالحَمْلِ هناكَ وبالسَّلْكِ هنا؛ لأنَّ آيةَ سورةِ هودٍ حكَتْ ما خاطبَهُ اللّهُ بهِ عندَ حدوثِ الطّوفانِ، وذلكَ وقتٌ ضيِّقٌ، فأُمِرَ بأنْ يحملَ في السَّفينةِ مَنْ أرادَ اللّهُ إبقاءَهم، فأُسنِدَ الحَمْلُ إلى نوحٍ؛ تمثيلًا للإسراعِ بإركابِ ما عُيِّنَ لهُ في السَّفينةِ، حتَّى كأنَّ حالَهُ في إدخالِهِ إيّاهم حالُ مَنْ يحملُ شيئًا ليضعَهُ في موضعٍ.

وأمّا آيةُ هذهِ السّورةِ فحكَتْ ما خاطبَهُ اللّهُ بهِ قبلَ حدوثِ الطّوفانِ؛ إنباءً بما يفعلُهُ عندَ حدوثِ الطّوفانِ، فأمرَهُ بأنَّهُ حينئذٍ يُدخِلُ في السَّفينةِ مَنْ عيَّنَ اللّهُ إدخالَهم، معَ ما في ذلكَ مِنَ التَّفنُّنِ في حكايةِ القصَّةِ[3].

ثالثًا: لم يُذكَرْ في هذهِ الآيةِ مَنْ آمنَ؛ اكتفاءً بدلالةِ الاستثناءِ لمَنْ سبقَ عليهِ القولُ مِنْ أهلِ بيتِهِ؛ فإنَّهُ يدلُّ على أنَّهُ تعالى أمرَ بإدخالِ جميعِ مَنْ آمنَ بهِ وإنْ لم يكنْ مِنْ أهلِ بيتِهِ[4].

معنى الواوِ في قولِهِ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾:

الواوُ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ للعطفِ، والظّاهرُ أنَّ المعطوفَ عليهِ هو قولُهُ تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ﴾، وقيلَ: لمّا كانَ التَّقديرُ: (إلّا مَنْ سبقَ عليهِ القولُ منهُم،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 131، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 229.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 163.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 46، وانظر للتوسع: ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 256 - 257، والإسكافي، درة التنزيل: 1/ 937.

(4) محيي الدين زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 158.

فلا تَحْمِلْهُ معَكَ، ولا تَعْطِفْ عليهِ؛ لظُلْمِهِ) عُطِفَ عليهِ قولُهُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾[1]، فتكونُ الجملةُ معطوفةً على جملةٍ محذوفةٍ يستدعيها سياقُ الكلامِ.

الـــواوُ لعطفِ الجملةِ على ما قبلَها؛ لتكامُلِ المعنى واتِّساقِهِ

دلالةُ النَّهيِ في قولِهِ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾:

يدلُّ النَّهيُ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ على أنَّ كفّارَ قومِ نوحٍ عليه السلام سينزلُ بهم عِقابٌ عظيمٌ لا مَرَدَّ لهُ؛ لأنَّ المرادَ بالمُخاطَبةِ المنهيِّ عنها المُخاطَبةُ الَّتي ترفعُ عِقابَهم، فتكونُ لنفعِهم، كالشَّفاعةِ وطلبِ تخفيفِ العِقابِ، لا مُطلَقُ المُخاطَبةِ[2].

الـــدَّلالـــةُ على نُـــزولِ العِـقابِ العظيمِ بقومِ نوحٍ الكفرةِ

وفي الكلامِ إشارةٌ إلى شَفَقةِ نوحٍ عليه السلام على قومِهِ وحُبِّهِ لنَجاتِهم[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بحرفِ الجرِّ ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾:

المرادُ بالمُخاطَبةِ المنهيِّ عنها في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ المُخاطَبةُ الَّتي فيها استشفاعُ نوحٍ عليه السلام لقومِهِ، وطلبُهُ رفعَ العذابِ عنهُم، لا مُطلَقُ المُخاطَبةِ، ولكنَّ الكلامَ أُخرِجَ مُخْرَجَ المبالغةِ، حيثُ أوقِعَ النَّهْيُ مِنْ حيثُ الظّاهرُ على المُخاطَبةِ المُتعلِّقةِ بذواتِ المُخاطَبينَ، فقالَ عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بإدخالِ ﴿فِي﴾ الدّالَّةِ على الظَّرفيةِ المكانيَّةِ على ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، وكأنَّ ذواتِ المُخاطَبينَ صارَتْ ظرفًا ومَحَلًّا للنَّهيِ عنِ المُخاطَبةِ، فيفيدُ الكلامُ مِنْ حيثُ صورةُ الخِطابِ النَّهيَ عنِ المُخاطَبةِ المُتعلِّقةِ بالَّذينَ ظَلَموا أيًّا كانَ نوعُها، وفي ذلكَ مِنَ المبالغةِ في تحقيقِ نُزولِ العذابِ بهِم ما لا يَخْفَى على المُتأمِّلِ.

ملمحُ المبالغةِ في الـنَّـهـيِ عن المُخاطَبةِ

بلاغةُ الإيجازِ في قولِهِ: ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾:

في قولِهِ عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ إيجازٌ لطيفٌ، وهو

الإيجـازُ بحذفِ طـرفِ الإضـافـةِ مـــن بـــلاغـــةِ الـــسّـــيـــاقِ في الإفادةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 133.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 67.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 283.

إيجازٌ بحذفِ مضافٍ، والتَّقديرُ: (ولا تُخاطِبْني في شأنِ الَّذينَ ظَلَموا واستدفاعِ العذابِ عنهُم بشفاعتِكَ)، وإنَّما قُدِّرَ ذلكَ؛ لأنَّ النَّهيَ عنِ المُخاطَبةَ لا يتعلَّقُ بذواتِ الَّذينَ ظَلَموا حقيقةً، وإنَّما يتعلَّقُ بأمرٍ مُتعلِّقٍ بهِم يدلُّ عليهِ المقامُ.

بلاغةُ الإظهارِ في موضعِ الإضمارِ:

التَّنبيهُ على علَّةِ النَّهيِ مفيدةٌ في بيانِ المعنى

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (ولا تُخاطِبْني فيهِم)؛ لأنَّ الضَّميرَ راجعٌ إلى مَنْ سبقَ عليهِ القولُ، لكنْ عُدِلَ عنِ الإضمارِ معَ أنَّهُ أوجزُ إلى الإظهارِ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾؛ ليُتوصَّلَ بواسطةِ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ إلى التَّنبيهِ على علَّةِ النَّهيِ عنِ المُخاطَبةِ، والمعنَى: ولا تُخاطِبْني في الَّذينَ ظَلَموا، أي: لا تُكلِّمْني فيهِم بشفاعةٍ وإنجاءٍ لهُم مِنَ الغَرَقِ ونحوِهِ؛ لأنَّهم ظَلَموا أنفُسَهم بالإشراكِ[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في قولِهِ: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾:

الدَّلالةُ على رُسوخِهِم في الظُّلمِ ظاهرةٌ بيِّنةٌ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ مِنْ تحقُّقِ الظُّلمِ منهُم ورُسوخِهم فيهِ، وأنَّ لهُم قَدَمَ صِدْقٍ فيهِ، بحيثُ صارَ بمنزلةِ صفاتِهم الجِبلِّيَّةِ، والمعنَى: ولا تُخاطِبْني في شأنِ الَّذينَ أوجَدوا الظُّلمَ، واستمرّوا عليهِ[2].

نُكتةُ فصلِ قولِهِ: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾:

الفصلُ لشِبهِ كمالِ الاتِّصالِ مفيدٌ في الإبانةِ عنِ المعنى

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ عمّا قبلَهُ، ولم يُعْطَفْ عليهِ؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ الموجِبِ للفصلِ؛ لأنَّ قولَهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ لتعليلِ ما قبلَهُ[3]، وهو نَهْيُهُ ﷺ عنِ الدُّعاءِ بالإنجاءِ للَّذينَ ظَلَموا[4]، كأنَّهُ لمّا قيلَ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 229.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 283.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 6/ 327.
(4) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 158.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ سأَلَ سائلٌ، فقالَ: ما سببُ النَّهي عنِ المُخاطَبةِ فيهِم؟ فأُجيبَ بقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾، أي: لأنَّهم مُغرَقونَ.

غرضُ التَّوكيدِ في: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾:

أثـرُ تنـزيـلِ غيرِ السّائلِ المُتردِّدِ منزلةَ السّائلِ

تأكيدُ الخبرِ بحرفِ التَّوكيدِ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ مثالٌ لتخريجِ الكلامِ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ، بتنزيلِ غيرِ السّائلِ المُتردِّدِ منزلةَ السّائلِ إذا قُدِّمَ إليهِ مِنَ الكلامِ ما يُلوِّحُ إلى جنسِ الخبرِ، فيستشرفُهُ لتعْيينِهِ استشرافًا يُشبِهُ استشرافَ السّائلِ عن عينِ الخبرِ[1].

بيانُ ذلكَ: أنَّ معنَى قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: لا تَدْعُني يا نوحُ في شأنِ قومِكَ واستدفاعِ العذابِ عنهُم بشفاعتِكَ، فهذا الكلامُ يُلوِّحُ بالخبرِ تلويحًا ما، ويُشعِرُ بأنَّهُ قد حقَّ عليهِم، فصارَ المقامُ مقامَ أنْ يتردَّدَ المُخاطَبُ في أنَّهم هل صاروا محكومًا عليهِم بالإغراقِ أم لا؟ فقيلَ: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ مُؤكَّدًا[2]، أي: محكومٌ عليهِم بالإغراقِ؛ لظُلمِهم بالإشراكِ والمعاصي[3].

دلالةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ في: ﴿مُّغۡرَقُونَ﴾:

الـدَّلالـةُ على تحقُّقِ الإغراقِ، لمـا يتَّـصـفـونَ بـهِ مِـنَ الكفرِ والـعـنـاد والشِّقاق

عُبِّرَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإغراقِ، وأنَّ اتِّصافَهم بكونِهم مُغرَقينَ أمرٌ ثابتٌ مُستقرٌّ، حتَّى كأنَّهُ مِنْ جملةِ الصِّفاتِ الجِبِلِّيَّةِ الَّتي يتَّصفونَ بها، فلا مَدْفَعَ لهُ، ولا تنفعُ في حقِّهم شفاعةُ شافعٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 67.
(2) التفتازاني، المختصر، ص: 150.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 86.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»